الأستاذة المساعدة

مها عيسى العبدالله

قسم الفلسفة / كلية الآداب / جامعة البصرة

الأسطورة بوصفها تمهيداً للتفكير الفلسفي

نحاول في هذه المحاضرة أن نبين لماذا التفكير الفلسفي معني بدراسة التفكير الذي سبقه؟

لكن قبل الإجابة على هذا السؤال نود أن نوضح إننا لسنا معنيين هنا بتعريف الأسطورة ومناهج دراستها ، وذلك لجملة مسائل يمكن أن نلخصها بهذه الأسباب .

١ – لأن ولوج عالم الأساطير ومعرفة ماهيتها والوظيفة التي أدتها ليست بالمهمة اليسيرة .

٢ – هناك من يرى أن النظريات الخاصة بالأسطورة مازالت موضع خلاف كبير فكل مذهب يقدم رؤيته الخاصة التي تتعارض مع غيرها تعارضا كبيرا .

٣ – لذلك عند دراسة الأسطورة يجب أن نضع في أذهاننا ما يأتي :

أ – من الصعب ان نتصور هناك تعريفا واحدا لماهية الأسطورة ، كما لا يوجد منهجا واحدا لدراستها .

ب – الأسطورة تمثل جزءاً مهما من تاريخ الوعي الانساني بالكون والحياة ، ويمكن أن نعدها أولى محاولات الوعي الإنساني الذي يكشف عن ارتباطه بالكون والوصول لمعرفة قوانينه .

ج –الأسطورة تؤرج لتجربة الإنسان في كثير من جوانب حياته ومواقفه الفكرية المختلفة مها .

أما بخوص اهتمام التفكير الفلسفي بالتفكير الأسطوري الذي سبقه فيمكن أن نوضح ذلك بما يأتي

إن تتبع تأثير الفكر الأسطوري في بواكير الفكر الفلسفي ، حيث ينظر للأسطورة على انها مرحلة سابقة على التفكير الفلسفي وممهدة له .إذ يرى بعض المفكرين أن الفلسفة امتداد لمرحلة

الأسطورة ، فقد نهلت من الفكر الأسطوري وبنت أنسقتها على دعائمه ، ثم بعدها واصلت الفلسفة تقدمها الذي أتاح للعقل الإنساني الفرصة ليكشف عن نفسه ويعرف قيمته ، عندها أصبح العقل قادرا على النظر للأسطورة نظرة نقد وفحص ، فتقبل من الأساطير ما قبله المنطق وأيدته الحجة ونبذ ما سواه .

هذا يعني أن الفلسفة اعتمدت أول أمرها على الأسطورة ثم تحول الفكر الفلسفي لنقد الأسطورة .

نجد الدليل في الفكر الفلسفي الذي بدأ مع طاليس في القرن السادس " ق. م" مع المدرسة الملطية وما تلاها من مدارس حيث ناقش فلاسفتها مشكلة بدء الوجود أو نشأة الكون .

وكما نعلم أن البحث في هذه المشكلة ظهر أول الأمر مع شعراء الملاحم والأساطير في الفكر اليوناني ، بصورة خاصة مع هزيود وهوميروس .

لم تبتعد الفلسفة عن الأسطورة كثيرا ، هذا ما أكده الفيلسوف نيتشه بقوله : " يبدو أن الفلسفة اليونانية تبدأ بفكرة غريبة الموضوعة القائلة بأن الماء أصل الأشياء .

إن رؤية نيتشه هذه تشير لمسألة مهمة وهي أن سؤال طاليس عن أصل الأشياء قد طرحه قبله مفكرون دينيون . لكن ما يميز سؤال طاليس كما يرى نيتشه هو طرحه للسؤال عن أصل الأشياء حيث ابتعد فيه طاليس عن السرد الخيالي الذي تميز به التفكير الأسطوري والديني .

ورغم ذلك ، أي رغم اعتماد طاليس على الملاحظة والبرهان العقلي لكنه لم يبتعد كثيرا عن التفكير الأسطوري .

١- The new Encyclopaedia Britannica
٢- The Encyclopedia of philosophy
٣- International Encyclopedia of the social sciences
٤- محمد غلاب : الفكر اليوناني أو الأدب الهليني .
٥- زكريا ابراهيم : مشكلات فلسفية (٤) مشكلة الفلسفة.
٦- فريدريك نيتشه : الفلسفة في العصر المأسوي الإغريقي .